شادي علي في أول تجربة إخراجية له:

تكريس اللوحة الدرامية القصيرة في «عربيات 2005»

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور دبر:

منذ بدأت «مرايا» ياسر العظمة تستعيض عن المطولات الدرامية (30) حلقة، بعمل يتألف من حلقات منفصلة، بل إن الحلقة الواحدة يمكن أن تحتوي على أكثر من لوحة درامية مستقلة بذاتها فكرة وتمثيلاً، حتى بدأت تشق طريقها إلى الشاشة مجموعة من الأعمال التي خرجت من رحم «المرايا» لكنها تباينت عنها أسلوباً وتكتيكاً إخراجياً، كـ«بقعة ضوء وع المكشوف»، وبدأت تخرج من رؤية الكاتب الواحد إلى توظيف جملة من الكتاب يحمل كل منهم رؤيته وأسلوبه وقضاياه المتباينة.

وإذ كانت «مرايا» العظمة قد خرجت من الدورة الرمضانية السابقة ـ وخيراً فعلت ـ بانتظار تجديدها والابتعاد بها عن النمطية والتكرار اللذين غلبا في الأعوام الأخيرة، فإن الدورة السابقة شهدت دخول عمل جديد ينتمي إلى هذا النمط من اللوحات الدرامية القصيرة باسم «عربيات 2005».

وإن كان تضمين تاريخ السنة في العنوان يشي بأن هناك سلسلة من هذه العربيات سوف تأتينا في كل دورة تلفزيونية جديدة تباعاً، فإن أسم «عربيات» يشير من جهته إلى نمط من المعالجة الدرامية التي تهتم بقضايا الإنسان العربي في أكثر من حيز جغرافي معين، وهذا ما شهدناه في «عربيات 2005» التي شارك في كتابتها أكثر من 30 كاتباً من سورية وبعض الدول العربية، فرأينا : خطيب بدلة، وليد معماري، موفق مسعود، كوليت بهنا، وغيرهم من سورية، كما رأينا: محمد نابلسي، عنتر هلال، مهدي يانس، وسواهم من الكتاب العرب. مع وجود كونترول مركزي باسم الكاتب والصحافي إياد شربجي معداً ومشرفاً، وهو الذي سبق وشارك في كتابة لوحات في سلاسل «مرايا وبقعة ضوء وع المكشوف».

كذلك تنوع طاقم الممثلين الذين فاق عددهم عن 150 فناناً وفنانة، فتابعنا من سورية: فارس الحلو، أيمن رضا، باسم ياخور، وهذا الثلاثي يجتمع ثانية في هذا العمل، بعدما انفض لقاؤهم الأول في «بقعة ضوء»، بالإضافة إلى أندريه سكاف، نضال سيجري، مديحة كنيفاتي، مانيا نبواني، رافي وهبة، لورا أبو أسعد، سلاف فواخرجي، عبد الحكيم قطيفان، لينا حوارنة، قمر عمرايا، جيني أسبر، محمد حداقي، جمال العلي، ناجي جبر، نضال نجم، ديمة الجندي، جرجس جبارة، محمد خاوندي وغيرهم، كما تابعنا من مصر كل من المنتصر بالله، وحيد سيف، شعبان عبد الرحمن،ومن الخليج حسن البلام، سناء يونس، عبد الله عبد العزيز، حسن حمادي، غازي حسين، عبد الرحمن الخطيب، ومن لبنان الممثل الكبير أحمد الزين ونظيره محمود سعيد، بالإضافة إلى عدد من الفنانين العرب الآخرين.

وإذا كان تنوع الكتاب قد انعكس في تنوع القضايا وملامستها لهموم الشارع العربي، خاصة وأن كل كاتب له أسلوبه الخاص في المعالجة، ونمط خاص من الاهتمامات، فإن تنوع الممثلين ساهم بتنوع الخبرات وتنوع الكركترات التي أغنت العمل.

كما أن «عربيات 2005» استطاعت الخروج من الاحتكار الكوميدي لهذا النمط من الأعمال، باتجاه تنوع ما بين الكوميديا الضاحكة، والكوميديا السوداء، وصولاً إلى لوحات درامية اجتماعية، وإن كان الجامع بين هذه الأنماط المتباينة هو البعد الانتقادي فيها جميعاً، كونها تلامس هموم المواطن العربي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومعاناته مع حكوماته المختلفة، وتأثير الأحداث العالمية على مجريات حياته اليومية.

كما تباينت هذه اللوحات في مدتها ما بين الدقائق الخمس إلى ربع الساعة، وما بين لوحات صامتة وأخرى حوارية وثالثة فانتازية.

كذلك تنوعت أماكن التصوير ما بين الريف والمدينة والبادية وصولاً إلى البحر، بتنوع جغرافية المواطن العربي، وتنوع معاناته، وقد تم التصوير في الأماكن الحقيقية ما بين سورية ومصر والأمارات العربية المتحدة، مما أضفى مصداقية وواقعية على المشهدية الفنية، تماشياً مع خصوصية كل من هذه البيئات المحددة، مع انه في كثير من اللوحات جرى التضحية بعنصر المكان لصالح التأكيد على الفكرة، دون أن يعني ذلك ضغطاً للنفقات الإنتاجية، إذ حاولت شركة «المتوسط للإنتاج الفني» تأمين كل مستلزمات إنجاح الخطوة الأولى في هذه السلسلة، بما يضمن حدود نجاحها مستقبلاً.

وقد أكد الممثل محمد حداقي أن هذا النمط من الأعمال التي تعتمد على اللوحات القصيرة قد تبدو متشابهة، إلا أن ما يميز أي عمل عن الآخر هو المخرج، فلكل مخرج رؤيته وأسلوبيته الخاصة به.

لذلك لاحظنا محاولات جادة من المخرج شادي علي لترك بصمة مميزة في أول عمل يحمل توقيعه، أو كما قال: «حاولت خلق لغة بصرية متجددة وصياغة مشهد بصري غير مطروق سابقاً، مستفيداً من التقنيات الحديثة في عالم التصوير، وقد تم إنشاء وحدة غرافيك في الشركة المنتجة، لوضع فاصل من الغرافيك بين اللوحات، وهذه العملية تتم لأول مرة في الدراما السورية، وهي من تصميم رندة حجازي وسليم مهنا وكنان صيدناوي».

كما أشار المخرج إلى تنوع أساليب الإخراج بين لوحة وأخرى تبعاً لمقولة كل لوحة، مع محاولة الحفاظ على الاتساق في روح العمل ككل، كما أشار إلى أن نجاح العمل ليس حكراً باسمه، بل يعتمد أيضاً على توفر عناصر النجاح الأخرى، من النصوص الجيدة، إلى النجوم المشاركين في التمثيل، وصولاً إلى الطاقم الفني الذي نجح في العمل بروحية الفريق الواحد.

الفنان أيمن رضا، الذي ساهم في كتابة بعض لوحات هذا العمل، يعتبر من مؤسسي دراما اللوحات الناقدة، وقد شارك في عدد من الشخصيات المتنوعة، كباقي الممثلين، الذين قد يؤدي الواحد منهم أكثر من شخصية في الحلقة الواحدة الأمر الذي يفترض جهداً خاصاً بالممثل، لكنه يعكس حيوية أعلى في التلقي.

وإذا كان الفنان فارس الحلو قد اعتبر العمل متميزاً بتنوع طروحاته، وبتميز معالجة نصوصه برؤية إنسانية متطورة، فإن باسم ياخور اعتبره موزاييكا من اللوحات لحالات وقصص كثيرة، مؤكداً أن نجاح هذا النوع من الدراما يحتاج تحديداً إلى هوامش كثيرة من الحرية في طرح الموضوعات الجريئة والانتقادية، مضيفاً أن انسحابه من «بقعة ضوء» جاء عندما ضاقت هذه الهوامش بسبب تدخل الجهة المنتجة.

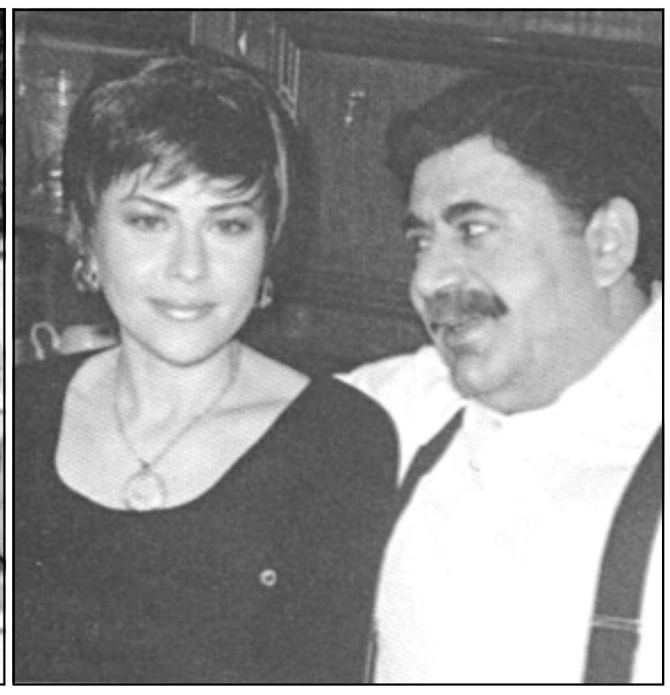

فارس الحلو وقمر عمرايا في لقطة من «عربيات 2005»

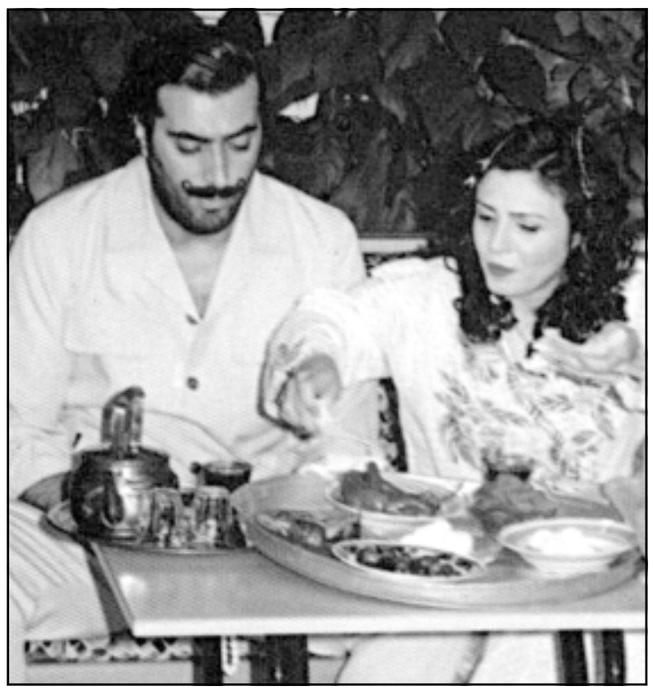

.. ولينا حوارنة وباسم ياخور في لقطة من المسلسل

بطاقة العمل:

المسلسل عربيات 2005
تأليف مجموعة من الكتاب و الفنانين
الإعداد إياد شربجي
الإخراج شادي علي
صوت يحي حوشان
تصوير بشار عبد الكريم
مونتاج مجد مرة
إنتاج شركة المتوسط للإنتاج الفني
تعليق الصور:
1ـ فارس الحلو وسلاف فواخرجي
2ـ هناء منصور وعبد الحكيم قطيفان
3ـ فارس الحلو وقمر عمريا
4ـ لينا حوارنة وباسم ياخور

هل تنجح باستضافة شخصيات من خارج الوسط الفني في جذب جمهور السينما؟

ظاهرة ظهور الأطباء ولاعبي الكرة والمذيعين والمحامين في الاعمال الدرامية المصرية

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ عمر صادق:

ظاهرة بدأت في الموسم السينمائي الماضي ولاتزال مستمرة خلال الموسم السينمائي الحالي، الظاهرة هي حرص نجوم الدراما على استضافة أسماء لامعة في مهن مختلفة للاشتراك في الافلام بهدف استغلالهم لجذب الجمهور.

الاعلامية هالة سرحان أقنعها نجم الكوميديا محمد هنيدي اثناء تصويره فيلم ـ يانا ياخالتي ـ بطولته مع دنيا سمير غانم واخراج سعيد حامد بالظهور في مشهد واحد كضيفة شرف لتجسد شخصية مذيعة ـ وهي مهنتها الاصلية ـ تجري حوارا مع شخصية نوسة ليقنع والدة حبيبته بعدم جدوى السحر والشعوذة.

في فيلم ـ حليم ـ نجح عماد الدين أديب رئيس مجلس ادارة شركة ـ غود نيوز ـ منتجة الفيلم في اقناع ـ هيثم ـ نجل الفنان الراحل أحمد زكي في تجسيد شخصية العندليب الراحل عبد الحليم حافظ في شبابه وبالفعل صور هيثم عدة مشاهد من الفيلم والذي سوف يعرض في شهر يونيو القادم في العديد من دور العرض السينمائي.

نجوم كرة القدم ايضا لم يكونوا بعيدين عن ظاهرة المشاركة في الافلام السينمائية حيث شارك نجوم النادي الاهلي احمد بلال وعلي ماهر واللاعب البرتغالي غيلبرتو والبرتغالي مانويل جوزيه مدرب الاهلي في احداث فيلم ـ سيد العاطفي ـ الذي لعبت بطولته الفنانة عبلة كامل وتامر حسني وطلعت زكريا والفنانة اللبنانية نور، وتم تصوير عدة مشاهد من تدريبات الفريق باستاد مختار التتش لتكون اضافة ضمن احداث الفيلم.

عبلة كامل ظهرت في الفيلم كمشجعة اهلاوية ومتعصبة. الظاهرة لم تتوقف عند هذه الافلام بل انتقلت عدواها الى المسرح ايضا فقد طلب الفنان عبدالمنعم مدبولي اشراك محمد عابدين الحكم الدولي السابق في مسرحية الاطفال ـ امير الخيال ـ التي قدمها مدبولي على مسرح السلام بقصر العيني لمدة اسبوع قبل سفره لاجراء عملية جراحية في باريس هذا الاسبوع وحل محله الفنان محمود الجندي حاليا.

طبيب المخ والاعصاب د، سمير الملا احد الشخصيات التي تهتم بالفن شارك في العديد من الادوار في الافلام الحالية التي يجري تصويرها ويظهر فيها ايضا في أدوار طبيب، والطريف ان محمد هنيدي رشحه لاداء شخصية طبيب ايضا في فيلم ـ وش إجرام ـ الذي يبدأ تصوير اول مشاهده بعد أيام، والمعروف ان د، سمير الملا هو الطبيب المعالج للفنانة سعاد نصر من حالة الغيبوبة وكتب تقارير مطمئنة عن حالتها الامر الذي ازعج اسرتها حيث لم تفق من غيبوبتها منذ كتابة هذه التقارير حتى الان.

■ «القدس العربي» ـ توجهت الى الناقد السينمائي مصطفى درويش وسألته عن ظهور مشاهير كضيوف شرف في اعمال درامية، يقول: الظاهرة ليست وليدة اليوم ولكنها موجودة بكثرة في أفلام زمان خاصة في السينما الامريكية حيث تستدعي السينما بعض المشاهير في مهمة اخرى ليس لهم علاقة بفن الدراما للاشتراك كضيوف شرف فيها، ويضيف: لا ارى مشكلة في مشاركة حكم مباراة دولي أو مذيع معروف او معلق رياضي شهير في فيلم سينمائي فاشتراك هذه الشخصيات تضيف ثراء للافلام لان بعض الجماهير تعشق مثلا ان ترى معلقا رياضيا معروفا ممثلا ومن هنا يلتقط الخيط منتج شاطر ويقوم بإشراكه في عدة مشاهد بالفيلم لجذب الجمهور.

ـ الكاتب يسري الجندي يرى ان هذه الظاهرة ليست جديدة ولكنها تنامت خلال السنوات الماضية حيث يعتقد الكثيرون ان الوصول للسينما او المسرح معناه دخول دائرة الاضواء والشهرة، وأرى ان هذا سلاح ذو حدين، فمن الممكن جدا ان يصطدم حلم الباحث عن الشهرة بعقبات عديدة تمنعه من الاستمرار في المهنة التي يحبها كأن يصطدم بإجراءات روتينية من جانب نقابة الممثلين التي ترفض مثلا منحه تصاريح عمل او غيرها من المعوقات ويتوقف عن تحقيق حلمه نهائيا.

ـ الفنان عزت العلايلي يرحب بالظاهرة ويقول ليست هناك مشكلة في ظهور نجوم من مهن اخرى في الفن، فكل انسان بداخله فنان، ومن الممكن ان يكون الشخص محاميا وبداخله فنان كما حدث مع الفنان الراحل عادل خيرى الذي كان في الاصل يعمل بالمحاماة لسنوات طويلة ولكنه اكتشف في نفسه مواهب تمثيلية عديدة ولذلك التحق بمعهد الفنون المسرحية وتخرج فيها كأفضل نجم كوميدي في هذه الفترة ولولا وفاته في عز شبابه لأصبح أحد أعمدة الكوميديا في القرن الماضي، ولو ظل يعمل بالمحاماة ما عرفه احد ولا اكتشفنا موهبته الجديدة بالاحترام.

ـ ويضيف الفنان محمد متولي بُعداً آخر للموضوع، يقول ليس صحيحا ان ظهور شخصيات شهيرة في مشاهد قليلة في الاعمال ينتقص منها أبدا، ويضيف:

ـ من الممكن ان يقتنص بعض هذه الشخصيات فرصة البطولات المطلقة في الدراما كما حدث للفنان عماد حمدي الذي كان يعمل محاسبا بشركة استديو مصر، واكتشفه المخرج الراحل نيازي مصطفى بعد ان استعان به بسبب غياب بطل الفيلم الراحل احمد علام عن التصوير لظروف طارئة، وعندما خضع عماد الى الاختبارات انبهر به نيازي وقدمه على الفور كبطل سينمائي واعتزل بعدها عمله في المحاسبة.

حفلات للفرقة الموسيقية «وتر» في مدن فلسطينية

الرامة ـ من اسامة مصري:

بعد النجاح الذي لاقته فرقة «وتر» الموسيقية اقامت الفرقة كونسيرت موسيقيا آخر يوم الجمعة 2005/4/7، في قرية الرامة، العرض بعنوان «محير» الذي يتضمن مقطوعات موسيقية لعازف العود والملحن والمدير الفني للعمل الفنان رمسيس قسيس، ومقطوعات كلاسيكية اخرى بتوزيعات ورؤيا جديده للفرقة

يشار الى ان فرقة وتر الموسيقية قامت بعرض باكورة أعمالها «مُحَيَّر» في منتصف آذار (مارس) الماضي، في قاعة «أشكول بايس» في شفاعمرو، وقد غصت القاعة بجمهور المستمعين بحضور البروفسور دالية كوهين. حيث لاقى العرض نجاحا منقطع النظير.

وتم خلال العرض تكريم البروفيسور تيسير الياس، من قبل أعضاء فرقة وتر الذين هم بغالبيتهم من طلابه في الأكاديمية الموسيقية، على مجهوده معهم وعلى عطائه الموسيقي على الصعيد المحلي والعالمي.

أن العمل الفني «محير» وهو أول أعمال فرقة «وتر» يؤكد لنا أن الموسيقى المحلية الآلية العربية في البلاد جديرة بأن نسمعها فقد أخذتنا وطارت بنا الى عالم سحري لم نعهده من قبل، هذا ما قاله جمهور الحاضرين بعد العرض. تخلل العرض ثلاث مقطوعات موسيقية للموسيقي عازف العود والملحن والمدير الفني للعمل رمسيس قسيس، ومقطوعات أخرى بتوزيعات جديدة خاصة بوتر.. من ناحية اخرى، يعبر هذا العمل عن حالة البلبلة الفكرية والصراع اللذين نعيشهما في عالمنا «المعولم».. وقد عزفت الفرقة هذه الحالة أنغاما موسيقية، كلاسيكية ومحلية فأطربت الآذان وجملت واقعنا بلغة قديمة جديدة فيها من عبق الماضي والحنين للآتي. وتعمل «وتر» على أن تجول بعملها هذا جميع المسارح في البلاد.

تأسست فرقة وتر الموسيقية في مطلع العام الجاري، لتجسد أحلام مجموعة من الشباب الموسيقيين الذين أنهوا دراستهم الأكاديمية، ويطمحون في السعي قدما في موسيقانا المحلية والعربية ليغتنوا منها ويغنوها.. والفرقة مؤلفة من: رمسيس قسيس المدير الفني للعمل (عود)، سرور صليبا (كمان)، معالي الغازي (ساكسفون)، مهران مرعب (قانون)، أدهم درويش (باس) وأفيعاد بن يهودا (إيقاعات).

سرور صليبا

مهران مرعب

فضائيات

كيف تساهم التلفزة في تطبيع الذاكرة الجماعية

خميس الخياطي*

■ في بعض المرات، ينتابنا شعور غريب بأن التلفزة التونسية ـ والفضائية تحديدا ـ لا علاقة لها بالبلاد لا من الجانب المعيشي ولا من زاوية أحلام التونسي... لنترك جانبا ما يسمى بـ«فضاءات الحوار» التي هي عادة وفي الغالب مساحة تلقينية لا لسبب إلا لكون الذين من المفترض أن يلعبوا دورهم الطبيعي، وأعني بذلك ممثلي أحزاب المعارضة، تراهم يدخلون في جوقة تمجيدية لا تنفع لا الدولة ولا العباد ولا حتى الحزب الحاكم. بالكاد تنفعهم هم... لنترك جانبا النشرات والمجلات الإخبارية التي لا تلمع لا من جانب تناولها الشؤون الداخلية ولا من جانب تعرضها للشؤون الدولية. ولو لم توجد الفضائيات (العربية والفرنسية) ولو لم يتيسر للتونسي العادي الإرتباط الحر بها وقد أعلن رئيس الدولة، بمناسبة العيد الخمسين لإستقلال البلاد، عن إلغاء ضريبة الهوائيات فاتحا عيني التونسي أكثر فأكثر على ما يجد في الخارج، ولو لو تكن الحالة على ما ذكرنا، لقلنا أن في الأمر رغبة مميتة في المحافظة على المواطن من مجاري هواء التيارات الفكرية والعقائدية التي تهز العالم... أما والأمر على هذا النحو من التفتح الواعي على كل الخطابات السياسية المحملة الفضائيات، فمن الصعب تفهم غربة التلفزة التونسية ليس فقط على المشاهد المحلي وإن أغرته ببرامج من نوع «دليلك ملك» حيث ملايين الدينارات تتطاير لو دلك حظك على الصندوق المبروك، بل كذلك حتى على تاريخ البلاد...

1952 في ذكرى 1938

■ عاشت تونس مؤخرا، اي يوم الأحد الماضي، الذكرى الثامنة والستين لأحداث 8 و9 نيسان (ابريل) من العام 1938 وهي أحداث دامية جرت والبلاد تحت ثقل الإستعمار الفرنسي ومن خلالها أكد الحزب الحر الدستوري الجديد ـ ولم تمض عن إنفصاله عن الحزب القديم (عبد العزيز الثعالبي) أكثر من سنين أربع ـ وعلى رأسه الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة أكد شبابه وصلابة طروحاته وعلاقته الوثيقة بالشعب... وكانت العادة أن تركز وسائل الإعلام والتلفزة التونسية بالخصوص على مثل هذه المواعيد التاريخية وتخصص لذكرى أحداث 9 نيسان (ابريل) ـ وقد أصبحت تلقب بعيد الشهداء ـ البرامج التذكارية. وما راعنا هذه السنة إلا والصحف تكتفي ببعض العناوين المحتشمة في ما أدت التلفزة التونسية فريضتها مساء السبت بإعادة بث فيلم «سجنان» للمخرج عبد اللطيف بن عمار. الفيلم من أمهات الأفلام التونسية قلبا وقالبا وإعادة بثه هذه تمثل نقلة هامة أنجدتنا من تحمل ثقل أفلام عمار الخليفي البدائية ان على صعيد الشكل أو على مستوى المحتوى مثل «الفجر» و«المتمرد» و«التحدي» وما شابهها. إلا أن أحداث «سجنان» لها علاقة متينة ووثيقة بالعام 1952 وليس بالعام 1938 وذلك من خلال تفتح وعي شاب في مقتبل العمر على الحب من جهة والنضال النقابي ـ السياسي من جهة أخرى. وإن كان التاريخ الأول يمثل القطيعة بين الحزب الدستوري وفرنسا الإستعمارية وبداية الغليان الإجتماعي والنقابي الذي سيؤدي الى إغتيال الزعيم فرحات حشاد فإن التاريخ الثاني هو غليان كذلك ولكن من نوعية أخرى منها مواجهة المستوطنين الفرنسيين «الإستعماريين الفلاحين» على حد تعبير الراحل جاك بيرك والنضال النقابي ـ السياسي من أجل الإستقلال التام من جهة أخرى وأدى كل ذلك الى بسط قوانين حظر التجوال وغيرها من الإجراءات القمعية... كما نرى الإختلافات بين التاريخين جذرية. كان الأحرى بالتلفزة التونسية ـ والبلاد احتفلت بمرور نصف قرن على إستقلال تونس 1956/2006 ـ أن ترصد البعض القليل من المال لإستعادة إما وثائقية ـ والحال أن البعض ممن عاشوا الأحداث ما زالوا يرزقون ـ أو روائية لأحداث نراهن أن الشباب التونسي لم يعد يعرف عنها إلا القليل القليل... وما دور تلفزة جامعة وعمومية إن لم يكن في المحافظة على شمعة الذاكرة دون تزلف ومغالطة طبعا؟ لقد أضعنا الفرصة... هل تغنوا بتونس حقا؟

والفرصة الضائعة أكثر من مرة لم تعد نتيجة السهو، بل هي من باب السياسة. فلو نظرنا الى ما بثته التلفزة التونسية يوم الأحد 9 نيسان (ابريل) منذ بداية الإرسال مع السابعة صباحا الى نهايته مع الواحدة والنصف من صباح الإثنين، أي ما يعادل ثماني عشرة ساعة ونصف الساعة من البث المباشر والمسجل لوجدنا أن التخطيط خال من ذاكرة «عيد الشهداء». كل البرامج المعهودة في مثل ذاك الأحد على حالها من برامج الأطفال (القرية السعيدة، ألبرت وزورا، علي بابا، حديقة الأحلام) حتى همزة وصل باللغة الفرنسية وأجواء الملاعب (البطولة الوطنية لكرة القدم بين: النجم الساحلي والإتحاد المنستيري، الترجي الرياضي وحمام الأنف، الملعب التونسي وحلق الوادي) وكوكتيل الأحد إنتهاء بالأحد الرياضي مرورا بالنشرات الإخبارية لمنتصف النهار والمسائية الأولى والرئيسية ومنتصف الليل... لقد أتى ذكر عيد الشهداء في نشرات الإخبار. وهذا أدنى الإيمان. أما في البرامج الأخرى، فإن الأمر إقتصر على بعض الأغاني الوطنية التي جلها قد يبث في أية مناسبة حتى في إنتصار المنتخب التونسي لكرة القدم... مما يعني أنها في أفضل الحالات أصبحت دينا يقدمه الفنان لبلده حتى لا يشكك المسؤول في وطنيته. ألم يتهم المنشط لطفي البحري (إنتهى مؤخرا من إخراج 15 حلقة من مسلسل روائي عن الجازية الهلالية) بعض المطربين بتعاليهم على وطنهم لأنهم لم يشاركوا في إحتفال التلفزة بعيد السابع من تشرين الثاني (نوفمبر). وإن إقتصر الأمر على الغناء التونسي لتونس، لقلنا أهل مكة يحبون شعابها، أما وقد استمعنا الى ميادة الحناوي وفارس كرم وكريمة السقلي وماجدة الرومي وهاني شاكر ولطيفة وغيرهم، فإن أدنى بادرة للعقل تسألك: «أيحبون تونس حقا حتى يتغنوا بها هكذا بكل تأثر وتأثير ويستهلكوا من أجلها كمية كبيرة من أفعال التفضيل؟»... الجواب الصريح: أشك في ذلك قطعا. وما يزعجني ليس غناء هؤلاء، فهم على عادة قدماء العرب. يتغنى الشاعر فلان بالأمير علان، فيخلع عليه الأمير بألفي دينار إن لم يقطع رأسه بعد ذلك... ومغنونا قد تغنوا بتونس مقابل حفلاتهم الصيفية في مسرح قرطاج الأثري... ما يزعجني هو أن تبث التلفزة التونسية وتعيد البث للمرة المليون هذه الأغاني كشهادة على إشعاع بلادنا. هل نحن في حاجة لغناء تلك المطربة أو ذاك المطرب غير التونسي حتى يزداد حبنا لبلدنا؟ وهذه المرة، تبثها التلفزة التونسية لتذكرنا بعيد الشهداء... صحيح أنهم قالوا: «قنديل باب منارة يضوي على البراني»... هو أسلوب رشيق وذكي في تطبيع الذاكرة وفي قراءة التاريخ.

حتى اللغة العربية...

■ في برنامج «نسمة الصباح» الذي يعده الحبيب بن محرز ويقدمه على تونس 7 الفضائية المنشط نزار الشعري، إستوقفتني حالة لم أكن أتوقع وجودها بالتلفزة التونسية. ذكرت مرة في هذه المساحة اللجوء المرضي للتعابير الفرنسية في بعض البرامج الترفيهية التونسية. هذه المرة لا تتعلق باللغة الفرنسية، بل يتمثل في تعد صارخ على اللغة العربية. من المعروف عالميا أن تعلم القراءة والكتابة وصل في تونس منذ الإستقلال حتى اليوم نسبة تعدت السبعين في المئة، مما يعني أن الغالبية العظمى من هذا الشعب (أكثر من 10 ملايين نسمة) ليست أمية وبالتالي فهي تعرف القراءة والكتابة. وإن عرف الإنسان القراءة وخاصة تلك التي تطلع على الشاشة التلفزية، فمن السهل أن تكون الجمل باللغة العربية السليمة لتتناسق القراءة مع الكتابة... بدعة «نسمة الصباح» هي أن تكتب المحكية التونسية التي هي، ككل الدارجات العربيات، لغة شفوية... فعوض أن نقرأ «المرأة» نسمع ونقرأ «المرا» ولا أفهم جدوى مثل هذا السلوك الإعلامي.

إن كانت جدوى إتصالية فإن كل من يقرأ المحكية بإمكانه أن يقرأ الفصحى وبدون إي إشكال... وإن كان الأمر غير ذلك، لا يكفينا ان تتراجع اللغة العربية (والفرنسية) حتى تساهم التلفزة في نشر الأمية اللغوية...

كذلك، فوجئ مشاهد التلفزة التونسية صبيحة الإحتفالات بالعيد الخمسين للإستقلال (20 مارس/آذار) بتغيير شارة تونس7 . كانت من قبل على صيغة رقم سبعة يشقه حرف التاء وفي العنصرين حركة من فوق الى تحت ومن اليسار الى اليمين... الشارة الجديدة تتمثل في رقم سبعة وله من الخشونة ما يجعله يحتل مكانة ما على الشاشة... ويزداد الإحتلال حينما نقرأ تونس بالأحرف اللاتينية المستقيمة أفقيا وتونس بالأحرف العربية معوجة عموديا حتى أن من يريد قراءة إسم البلد ـ ولغته الرئيسية والوحيدة على ما أعلم هي اللغة العربية ـ عليه أن يميل برأسه يمينا حتى تتسنى له قراءة إسم تونس. كيف تمت دراسة هذه الشارة وعلى أي أساس من الإتصالية تمت الموافقة عليها؟ هذا ما لا نعرفه...

جملة مفيدة: «يقولون ان الإنسان يموت من أجل الكسب والحيوان يموت من أجل الأكل... الموت من أجل الكسب أمر مقبول. لكن أن تموت من أجل الأكل، فذلك أمر غير مقبول» من الفيلم الياباني «مالح وحلو».

* ناقد وإعلامي من تونس
khemaiskhayati@yahoo.fr

وارضيات